مفهوم التعاون
في ضوء كليات رسائل النور للنورسي

د. عبدالرحمن عمر اسبينداري(*)

المقدمة

تعد رسائل النور موسوعة شاملة حوت جل نظرات النورسي وآرائه الشاملة شمول الحياة من جانب، ومن جانب آخر شمول المنظور القرآني الذي انطلق منه النورسي (رحمه الله) في تناوله للمسائل المختلفة، لذا فما من موضوع من الموضوعات الشرعية أو غيرها إلا وقد أدلى فيه دلوه، وأحاطه عرضاً وتشخيصاً وعلاجاً.

في هذا البحث درسنا مفهوم التعاون في ضوء كليات رسائل النور، وبعد أن تناولت الجانب اللغوي لمفردة التعاون، ومن ثم الاستعمال القرآني لتلك المفردة، تطرقت إلى حديث النورسي (رحمه الله) عن مفهوم التعاون. وقد قسمت حديثه عن التعاون إلى محورين؛ خصصت المحور الأول لحديث النورسي (رحمه الله) عن بذرة التعاون وثمرته، وفي المحور الثاني لخصت حديثه عن التعاون باعتباره دستوراً عاماً للحياة، ولعمل الكون، ولعمل جسم الإنسان، ولمدنية القرآن الكريم، وأخيراً لتنظيم العلاقة بين الشعوب والقوميات المختلفة في العالم الإسلامي.

مدخل عام

قبل أن نتطرق إلى حديث النورسي (رحمه الله) عن التعاون نود أن نذكر وبإيجاز ما ورد في معاجم اللغة العربية تحت مادة (عون)، ومن ثم نتطرق إلى مفردة التعاون في القرآن الكريم.

(*) كلية التربية، جامعة دهوك، العراق. spendari@gmail.com

أولاً: التعاون لغة

ورد في لسان العرب تحت مادة: "عون": "العَوْنُ: الظَّهير على الأَمر، الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فيه سواء..ويُكَسَّرُ أَعْواناً...وتقول أَعَنْتُه إعانة واسْتَعَنْتُه واستَعَنْتُ به فأَعانَني... والاسم العَوْن والمَعانة والمَعُونة والمَعْوُنة والمَعُون. قال الأَزهري: والمَعُونة مَفْعُلة في قياس من جعله من العَوْن. وقال ناسٌ: هي فَعُولة من الماعُون، والماعون فاعول. وقال غيره من النحويين: المَعُونة مَفْعُلة من العَوْن مثل المَعُوثة من الغَوْث، والمضوفة من أَضافَ إذا أَشفق، والمَشُورةِ من أَشارَ يُشير[1]... وقالوا: عاوَنْتُه مُعاوَنة وعِواناً صحت الواو في المصدر لصحتها في الفعل لوقوع الأَلف قبلها، قال ابن بري: يقال: اعْتَوَنوا واعْتانوا إذا عاوَنَ بعضهم بعضاً...وتَعاوَنَّا أَعان بعضنا بعضاً، والمَعُونة الإِعانَة، ورجل مِعْوانٌ: حسن المَعُونة، وتقول: ما أَخلاني فلان من مَعاونِه، وهو وجمع مَعُونة، ورجل مِعْوان كثير المَعُونة للناس. واسْتَعَنْتُ بفلان فأَعانَني وعاونَني، وفي الدعاء[2]: رَبِّ أَعِنِّي ولا تُعِنْ عَليَّ..."[3]. وكلّ شَيْء استعنت بهِ، أو أعانك فهو عَوْنُك، والصّوم عَوْنٌ على العبادة...وتَعَاونوا، أي: أعان بعضهم بعضاً[4].

ثانياً: مفردة التعاون في القرآن الكريم

وردت مفردة (تعاون) والألفاظ المشتقة من المادة نفسها في القرآن الكريم في عدد من المواضع، وعلى النحو الآتي:

١. ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، (الفاتحة:٥).
٢. ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾، (البقرة: ٤٥).
٣. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾، (البقرة: ١٥٣).

---

(١) ينظر كلام الأزهري في: الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م)، ج١٢٨/٣.

(٢) ينظر: الحاكم، أبو عبدالله: المستدرك على الصحيحين، (د. م: د. ن، ط١، ١٤٢٧هـ)، رقم الحديث: ١٩١٠، ج٥١٩/١، قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط١، د. ت)، ج٢٩٨/١٣. و ينظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، (د. م: د. ن. ط. ت)، ج١٥٧١/١.

(٤) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: **كتاب العين**، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، (د. م: دار ومكتبة الهلال، د. ط. ت)، ج٢٥٣/٢.

٤. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. (المائدة: ٢).

٥. ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، (الأعراف: ١٢٨).

٦. ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾، (يوسف: ١٨).

٧. ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾، (الكهف: ٩٤-٩٥).

٨. ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾، (الأنبياء: ١١٢).

٩. ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾، (الفرقان: ٤).

وكما هو واضح أعلاه فإنه قد وردت مادة (ع، و، ن) في القرآن الكريم في عشرة مواضع، وقد شملت عدة معاني من ذلك:

التعاون المعنوي: أي الاستعانة بالعبادة -ولا سيما الصلاة- على مصائب الدنيا كما في آيتي البقرة، ٤٥، و١٥٣. أو فوق كل ذلك الاستعانة بالله سبحانه وتعالى كما في آية سورة الفاتحة، والأعراف، ويوسف، والأنبياء.

ومنها: التعاون المادي بين البشر؛ وهو أن يعين الناس بعضهم بعضاً على القيام بعمل ما، بغض النظر عن صلاح ذلك العمل أو طلاحه كما في آية سورة الفرقان، وسورة الكهف. وسواء أكان ذلك تعاوناً إيجابياً وهو المأمور به في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، أو تعاوناً سلبياً وهو المذموم المنهي عنه كما في قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

ويظهر من خلال ما سلف أن التعاون الإيجابي الذي أمر به القرآن أوسع من حصره في التعاون بين المسلمين فقط، إذ جاء الأمر به بعد نهي القرآن الكريم عن الاعتداء

على الآخر، وإن لم يكن مسلماً ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.. ﴾ (المائدة: ٢)، إذن فالمسلم مطالب بالتعاون مع الآخر في كل ما فيه مصلحة معتبرة للبشر، وفي كل ما من شأنه أن يؤدي إلى البر.

ونلاحظ أنه قد قدم التعاون على البر والتقوى على التعاون المذموم في إشارة واضحة إلى أن التعاون المحمود هو الأصل والدستور العام للحياة. يقول صاحب المنار: "أما الأمر بالتعاون على البر والتقوى فهو من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن، لأنه يوجب على الناس إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم، فجمع بذلك بين التحلية والتخلية، ولكنه قدم التحلية على التخلية بالبر، وأكد هذا الأمر بالنهي عن ضده، وهو التعاون على الإثم بالمعاصي، وكل ما يعوق عن البر والخير، وعلى العدوان الذي يغري الناس بعضهم ببعض، ويجعلهم أعداءً متباغضين يتربص بعضهم الدوائر ببعض"[١].

يقول ابن عاشور في تفسيره للآية السالفة: "تعليل للنهي الذي في قوله: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ وكان مقتضى الظاهر أن تكون الجملة مفصولة، ولكنها عطفت: ترجيحاً لما تضمنته من التشريع على ما اقتضته من التعليل، يعني: أن واجبكم أن تتعاونوا بينكم على فعل البر والتقوى، وإذا كان هذا واجبهم فيما بينهم، كان الشأن أن يعينوا على البر والتقوى، لأن التعاون عليها يكسب محبة تحصيلها، فيصير تحصيلها رغبة لهم، فلا جرم أن يعينوا عليها كل ساع إليها. ولو كان عدواً، والحج بر فأعينوا عليه وعلى التقوى، فهم وإن كانوا كفاراً يعاونون على ما هو بِر، لأن البر يهدي للتقوى، فلعل تكرر فعله يقربهم من الإسلام. ولما كان الاعتداء على العدو إنما يكون بتعاونهم عليه نبهوا على أن التعاون لا ينبغي أن يكون صداً عن المسجد الحرام، وقد أشرنا إلى ذلك آنفاً؛ فالضمير والمفاعلة في ﴿تَعَاوَنُوا﴾ للمسلمين،أي:ليعن بعضكم بعضاً على البر والتقوى. وفائدة التعاون تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد والتناصر،حتى يصبح ذلك خلقا للأمة"[٢].

---

(١) رضا، رشيد: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (د. م: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٩٠م)، ج٦/١٠٨.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير

ومن ناحية أخرى فإن القرآن الكريم ينهى عن التعاون السلبي، وعن كل ما يؤدي إلى زرع بذور التنازع، وبروز الاختلاف المؤدي إلى الفشل والضعف، كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، (الأنفال: ٤٦). فالمسلم ملزم بالتعاون على البر والتقوى، ومكلف بالكف عن التعاون المذموم، وتجنب كل ما من شأنه أن يزرع بذور الفرقة والشقاق. وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة -سنذكرها في الفقرة الأخيرة من البحث- مؤكدة للآيات القرآنية الآمرة بالاتحاد والتعاون على البر والتقوى.

حديث النورسي (رحمه الله) عن التعاون

المطالع لرسائل النور يجد أن النورسي (رحمه الله) قد أولى موضوع التعاون اهتماماً كبيراً، وتحدث عنه بشمول تام، كون الحياة لا تتقدم بل لا تستمر إلا بالتعاون بين مكونات هذا الوجود. فقد تحدث النورسي (رحمه الله) عن عدة مستويات للتعاون، وبناء على ما سلف يمكننا تقسيم حديثه عن التعاون إلى محورين، وهما:

المحور الأول: بذرة التعاون وثمرته

أولاً: التعاون والأخوة

التعاون من ثمار الأخوة بالمفهوم الشامل للأخوة، وفي الوقت ذاته فإن التعاون يُوَلِّدُ في المجتمع روح الأخوة، فيعد التعاون من بذور الأخوة، وفي الوقت ذاته ثمرة من ثمارها، يقول النورسي (رحمه الله) إنطلاقاً من الآيات القرآنية التي تأمر بالاتحاد والتعاون: "إن نقطة استنادنا تجاه المصائب والدواهي التي ألقت بثقلها العظيم، عظم الأرض على العالم الإسلامي هي الإسلام الذي يأمر بالاتحاد النابع من المحبة، وبامتزاج الأفكار الناشئ من المعرفة، وبالتعاون الذي تولده الأخوة"[1].

ثانياً: التعاون والرحمة

يرى النورسي (رحمه الله) أن الرحمة: "هي التي وجّهت الكائنات من كل صوب وحدب، وساقتها نحو الإنسان وسخَّرتها له، بل جعلتها تتطلع إلى معاونته، وتسعى لإمداده، كما تتوجه أجزاء الشجرة إلى ثمرتها"[2].

المعروف بتفسير ابن عاشور، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م)، ج١٩/٥-٢٠.

(١) النورسي، بديع الزمان سعيد: صيقل الإسلام أو آثار سعيد القديم، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م)، ج٣٦٩/٨.

(٢) النورسي، بديع الزمان سعيد: اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، ج١٤٨/٣.

ويرى أن معاونة هذه الكائنات للإنسان إنما هي من ثمار رحمة الله بهذا الإنسان الضعيف إذ يقول: "نعم! إن حشد الكائنات وجمعها حول الإنسان ضمن حكمة مقدرّة، وجعل كلٍ منها يمد يد العون إليه لدفع حاجاته المتزايدة...أو أن التعاون والإمداد -مد يد العون إليه- إنما يتم بعلم محيط لقادر مطلق محتجب وراء الكائنات...أي: أن أنواع الكائنات لا تعرف هذا الإنسان لتمُد له يدَ العون، وإنما هي دلائل على من يعرف هذا الإنسان ويرحمه، ويعلم بحاله..وهو الخالق الرحيم"[١].

ويقول في موضع آخر: "...وكذا إمداد خلايا الجسم بذرات الطعام، وإمداد الحيوانات بالنباتات، وإمداد الإنسان بالحيوانات، وإمداد الصغار العاجزين بحنان الوالدات ورعايتهن، وجعل هذا السعي والإمداد والمعاونة تتم في إطار حكمة تامة، وضمن رحمة كاملة.."[٢].

لذا لابد أن يتخلق الإنسان بخلق الرحمة كي يدفعه ذلك إلى معاونة الآخرين، ومن ناحية أخرى فإن تعاون الإنسان مع أخيه الإنسان يؤدي إلى خَلق جو تسوده الرحمة والمحبة. وهو في الوقت نفسه من أسباب تحصيل رحمة الله سبحانه وتعالى وعونه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن[٣]، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله)[٤].

---

(١) المرجع السابق، ج٣/١٤٨-١٤٩.

(٢) النورسي، بديع الزمان سعيد: الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، ج٤/٢٠٧.

(٣) "الشجنة" بكسر المعجمة وسكون الجيم بعدها نون، وجاء بضم أوله، وفتحه رواية ولغة. والشجنة: الشعبة من الشيء، والقطعة منه، ومنه يقال: شجرة متشجنة، أي: متفرعة كثيرة الأغصان، ومنه: "الحديث ذو شجون"، أي: أن ينشعب من الحديث أحاديث كالوادي الذي تتشعب منه المجاري، ويتفرع عنه الأنهار من الجهات". ينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، د. ط، ١٣٧٩هـ)، ج١٠/٤١٨. وابن فورك، محمد بن الحسن الأصبهاني: مشكل الحديث وبيانه، تحقيق: موسى محمد علي، (بيروت: عالم الكتب، د. ط، ١٩٨٥م)، ج١/٣٠١.

(٤) قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح". وقال الألباني: صحيح. ينظر: الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت)، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، ج٤/٣٢٣. والبيهقي، أبو

والتعاون كما قلنا مجلبة لعون الله سبحانه وتعالى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...)[1].

ثالثاً: التعاون والإيمان

يستثمر النورسي (رحمه الله) كل فرصة تسنح له ليعود إلى الموضوع الأساسي لرسائل النور ألا وهو زرع الإيمان في القلوب، لذا نجده يعود المرة تلو الأخرى ليؤكد أن التعاون وعلى جميع المستويات -التي سيأتي ذكرها فيما بعد- إنما هو دليل على وجود الله سبحانه وتعالى أولاً وقبل كل شيء، ومن ثم على ربوبيته العامة، وعلى تفرده بالوحدانية.

التعاون العام الجاري في الكون دليل على وجود الله

يقول النورسي رحمه الله: "نعم إن إظهار الأشياء المتعاونة –وهي جامدة وبلا شعور ولا شفقة- أوضاعاً تنم عن الشفقة، وتتسم بالشعور فيما بينها دليل وأي دليل على أنها تدفع دفعاً للإمداد والمعاونة، فتجري بقوة رب ذي جلال، وبرحمة رحيم مطلق الرحمة، وبأمر حكيم مطلق الحكمة. وهكذا فإن (التعاون) العام الجاري في الكون و(الموازنة) العامة السارية بكمال الانتظام و(المحافظة) الشاملة، ابتداء من المجرات والسيارات إلى أجهزة الكائن الحي وأعضائه الدقيقة بل إلى ذرات جسمه، و(التزيين) الجاري قلمه من وجه السموات المتلألىء إلى وجه الأرض البهيج، بل إلى وجه الأزهار الجميلة، و(التنظيم) الحاكم ابتداءً من درب التبانة إلى المنظومة الشمسية وإلى ثمار الذُرة والرمان وأمثالهما، و(التوظيف) القائم ابتداءً من الشمس والقمر والعناصر والسحب إلى النحل والنمل..وأمثالها من الحقائق العظيمة جداً، والشاهدة شهادة متناسبة مع عظمتها، تشكل الجناح الثاني لشهادة الكون على وجوده سبحانه ووحدانيته وتثبتها"[2].

بكر أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، (د. م: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط١، ١٣٤٤هـ)، ج٩/٤١.

(١) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، (بيروت: دار الجيل ودار الأفاق الجديدة، د. ظ. ت)، رقم الحديث: ٧٠٢٨، ج٨/٧١.

(٢) النورسي: الشعاعات، ج٤/١٨٥.

حقيقة التعاون دليل على ربوبية رب العالمين العامة

وبعد أن يذكر عدداً من الأمثلة على التعاون الجاري في عوالم الكون المختلفة، يقول (رحمه الله) عن هذه الأمثلة: "...وما شابهها من الأمثلة الغزيرة لحقيقة التعاون الجارية بالتسخير الرباني وبالاستخدام الرحماني، تُظهر بجلاء ربوبية رب العالمين العامة المحيطة، ورحيميته الواسعة الشاملة، والذي يدير الكون الواسع برمته بسهولة إدارة قصر بسيط"[١].

ويقول في موضع آخر: "إن معاونة الموجودات بعضها للبعض الآخر، وتجاوبها فيما بينها، وتساندها في الوظائف والواجبات..يدل على أن كل المخلوقات تحت تربية ورعاية مرب واحد أحد. وأن الكل تحت أمر مدبر واحد أحد..وأن الكل تحت تصرف واحد أحد..."[٢].

تعاون الأرض والسماء دليل على وحدانية الله

يقول النورسي (رحمه الله) في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (الأنبياء: ٢٢): "ثم في هذه الآية رمز إلى دليل لطيف على التوحيد، وهو: أن تعاون الأرض والسماء ومناسبتهما في توليد الثمرات -لتُعَيِّش نوع البشر وجنس الحيوان- ومشابهة آثار العالم، وتعانق أطرافه، وأخذ بعض يد بعض بتكميل بعض انتظام بعض، وتجاوب الجوانب، وتلبية بعض لسؤال حاجة بعض، ونظر الكل إلى نقطة واحدة، وحركة الكل بالانتظام على محور نظام واحد، تلوح بل تصرح بأن صانع هذه الماكينة الواحدة واحد، وتتلو على كلٍ: وفي كل شيء له آية، تدل على أنه واحد"[٣].

ويبين هذه الحقيقة في موضع آخر فيقول: "نعم إن دستور التعاون الجاري الظاهر ابتداءً من جري الشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار، وترادف الشتاء والصيف...إلى إمداد النباتات للحيوانات الجائعة، وإلى سعي الحيوانات لمساعدة الإنسان الضعيف المكرم، بل إلى وصول المواد الغذائية على جناح السرعة لإغاثة الأطفال النحاف،

---

(١) المرجع السابق، ج٤/١٨٥.

(٢) النورسي، بديع الزمان سعيد: الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط٣، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، ج١/٧٩٢.

(٣) النورسي، بديع الزمان سعيد: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، ج٥/١٥٤.

وامداد الفواكه اللطيفة. بل إلى خدمة ذرات الطعام لحاجة حجيرات الجسم..كل هذه الحركات الجارية وفق دستور "التعاون" تُري لمن لم يفقد بصيرته كلياً أنها تجري بقوة مرب واحد كريم مطلق الكرم، وبأمر مدبر واحد حكيم مطلق الحكمة. فهذا التساند، وهذا التعاون، وهذا التجاوب، وهذا التعانق، وهذا التسخير، وهذا الانتظام الجاري في هذا الكون، يشهد شهادة قاطعة، أن مدبراً واحداً هو الذي يديره، ومربياً أحداً يسوق الجميع في الكون..."[١].

إذاً ف "التعاون" و"التساند" و"التجاوب" و"التعانق" الواضحة على وجه الكون، إنما هي أختام كبرى وبصمات ساطعة للتوحيد[٢].

فالتأمل في التعاون الجاري في الكون يولد في النفس الشعور بعظمة الخالق وتفرده بالواحدنية، ومن جانب آخر فإن الإيمان نفسه يدفع المؤمن إلى التعاون مع إخوانه المؤمنين امتثالاً للأمر القرآني: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)، والأحاديث النبوية التي ستأتي لاحقاً والتي وصفت المؤمنين بالجسد الواحد.

المحور الثالث: التعاون دستوراً

يرى النورسي (رحمه الله) أن التعاون هو دستور الحياة العام، وأنه دستور عمل الكون، وأنه دستور عمل جسم الإنسان، وأنه دستور مدنية القرآن الكريم في الحياة. ويرى بناء على ما سلف أنه من الضروري بمكان اتخاذ التعاون دستوراً للعلاقة بين القوميات المختلفة في العالم الإسلامي، وفيما يأتي نذكر بإيجاز مقتطفات من كلامه.

أولاً: التعاون دستور الحياة العام

يرى النورسي (رحمه الله) أن الدستور العام للحياة هو التعاون بدءً من أصغر الذرات وانتهاءً بأكبر المجرات في هذا الكون الفسيح، لذا نجده يستشهد بدلائل وشواهد من الطبيعة، ومن جسم الإنسان على ذلك.

يقول (رحمه الله): "إعلم إن مما يدل على أن دستور الحياة هو التعاون دون الجدال؛ كما توهمته الفلاسفة الضالة المضلة، عدم مقاومة التراب الصلب ولا الحجر الصلد لسيران لطائف رقائق عروق النباتات اللينة اللطيفة، بل يشق الحجر قلبه القاسي

---

(١) النورسي: الكلمات، ج١/٣٣٨. وج١/٧٩٢.

(٢) النورسي: اللمعات، ج٣/٥٤٠.

بتماس حرير أصابع بنات النبات، ويفتح التراب صدره المصمت لسريان رائد النباتات. نعم، تجاوب أعضاء الكائنات بشمسها وقمرها لمنفعة الحيوانات، وتسارع النباتات لامداد أرزاق الحيوانات، وتسابق مواد الأغذية لترزيق الثمرات، وتزين الثمرات لجلب أنظار المرتزقات، وتعاون الذرات في الإمداد لغذاء حجيرات البدن، دليل قاطع ساطع على أن الدستور العام هو التعاون، وما الجدال إلا دستور جزئي بين قسم من الحيوانات الظالمة..."[١].

ثانياً: التعاون دستور عمل الكون

يرى النورسي (رحمه الله) أن التعاون هو دستور عمل الكون، إذ يقول: "إنه ما من شيء في هذا العالم إلا وكأنه يتطلع إلى الآخر فيغيثه، أو يرى الآخر فيشد من إزره ويعاونه..فيكمل الواحد عمل الآخر، ويكون ظهيره وسنده، ويتوجه الجميع جنباً إلى جنب في طريق الحياة..وقس على ذلك، فهذه الظواهر جميعها تدلنا دلالة قاطعة وبيقين جازم إلى أنه ما من شيء في هذا القصر العجيب إلا وهو مسخر لمالكه القدير ولصانعه البديع، ويعمل باسمه وفي سبيله، بل كل شيء بمثابة جندي مطيع متأهب لتلقي الأوامر، فكل شيء يؤدي ما كلف به من واجب بقوة مالكه وحوله، فيتحرك بأمره، وينتظم بحكمته، ويتعاون بكرمه وفضله، ويغيث الآخرين برحمته"[٢].

لذا يتوجب على الإنسان أن ينسجم مع من حوله، كما هو الحال مع انسجام كل ذرة في هذا الكون مع ما حولها، وكيف أن كل شيء يكمل الآخر، ويعاونه، بحيث إذا أفرط جزء من هذا الكون في عمله أو مهمته لأدى ذلك إلى انفراط عقد هذا النظام، وإلى اختلال التوازن الكوني.

يقول (رحمه الله): "إن كل ذرة كالجندي، الذي له علاقة مع كل دائرة من الدوائر العسكرية، أي: مع رهطه وسريته وفوجه ولوائه وفرقته وجيشه، وله حسب تلك العلاقة وظيفة هناك، وله حسب تلك الوظيفة حركة خاصة ضمن نطاق نظامها..."[٣].

---

(١) النورسي، بديع الزمان سعيد: المثنوي العربي النوري، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط٤، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، ج٦/٣٤٩.

(٢) النورسي: الكلمات، ج١/٣١٧.

(٣) النورسي: الكلمات، ج١/٣٣١. وينظر كلامه في هذا الصدد: ج١/٧٩٢، و النورسي: المثنوي العربي النوري، ج٦/٤٧.

فالتعاون يجعل من الكون كله وحدة متحدة تتعصى على الانقسام كما يقول النورسي (رحمه الله): "إن موجودات الكون، بأنواعها المختلفة، تتعاون فيما بينها تعاوناً وثيقاً، ويسعى كلُّ جزء منها لتكملة مهمة الآخر، وكأنها تمثل بمجموعها وأجزائها تروس معمل بديع ودواليبه –الذي يشاهد فيه هذا التعاون بوضوح- فهذا التساند، وهذا التعاون بين الأجزاء، وهذا الاستجابة في اسعاف كل منها لطلب الآخر، وامداد كل جزء للجزء الآخر، بل هذا التعانق والاندماج بين الأجزاء يجعل من أجزاء الكون كله وحدة متحدة تتعصى على الانقسام والانفكاك. يشبه في هذا وحدة أجزاء جسم الإنسان الذي لا يمكن فك بعضها عن البعض الآخر"[١].

ثالثاً: التعاون دستور عمل جسم الإنسان

تضمنت الفقرات السابقة إشاراتٍ عديدةٍ إلى أن التعاون يعد دستوراً لعمل جسم الإنسان، لذا نكتفي هنا بذكر كلام موجز للنورسي (رحمه الله) في هذا الصدد، إذ يقول: "إعلم أن الله خلق الإنسان في تركيب عجيب، ووحدةٍ في كثرة، بسيط، وهو مركب، فردٌ وهو جماعة، له أعضاء وحواس ولطائف، لكلٍ في ذاته ألم ولذة مع تألمه وتلذذه من انفعالات الكل وتأثرات أخواته، بدليل سرعة التعاون والإمداد بينها..."[٢].

رابعاً: التعاون دستور مدنية القرآن الكريم في الحياة

عند مقارنة النورسي (رحمه الله) لأسس المدنية الحاضرة مع أسس المدنية القرآنية أو الشرعية، يبين كيف جعلت الأولى دستورها في الحياة: الجدال والخصام المؤديان إلى التدافع والتنازع، في حين أن دستور مدنية القرآن الكريم هو التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن مثل هكذا دستور هو الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما البشرية.

يقول (رحمه الله): "دستورها –مدنية القرآن الكريم- في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات"[٣].

ولا شك أن النورسي (رحمه الله) قد بنى كلامه السالف على نصوص القرآن الكريم ولا سيما على الآية ١٣ من سورة الحجرات التي تعلن عن هذا الدستور بصراحة: ﴿يَا

---

(١) النورسي: اللمعات، ج٣/٥٤٠.

(٢) النورسي: المثنوي العربي النوري، ج٦/١٧٩.

(٣) النورسي: الكلمات، ج١/٨٥٦.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

يقول (رحمه الله): "أما حكمة القرآن فهي تقبل "الحق" نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلاً من "القوة"..وتجعل "رضى الله ونيل الفضائل" هو الغاية والهدف، بدلاً من "المنفعة"، وتتخذ دستور "التعاون" أساساً في الحياة، بدلاً من دستور "الصراع"...وتلتزم رابطة "الدين" والصنف والوطن لربط الجماعات، بدلاً من العنصرية والقومية السلبية...وتجعل غاياتها من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور، وتطمين مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل العليا لجعل الإنسان إنساناً حقاً"[١].

ويضرب على ذلك مثالاً عملياً، إذ يقول وهو يتحدث عن الزكاة: "ترى لو صارت الزكاة التي هي مسألة واحدة من ألف من مسائل حقيقة الإسلام، دستور المدنية، وأساس التعاون فيها، ألا تكون دواء ناجعاً، وترياقاً شافياً للتباين الفظيع في الحياة المعاشية، الذي هو جحر الحيات والسم الزعاف والبلاء المدمر؟ بلى سيكون الدواء الناجع الساري المفعول أبداً"[٢].

خامساً: دستور التعاون بين القوميات

القرآن يوجه الناس ويأمرهم باتخاذ التعاون دستوراً للحياة بدلاً من الصراع، وبأن يكون الدستور المعمول به في العلاقات بين الشعوب والأقوام المختلفة هو التعاون لا التصارع، والتساند لا التدافع. وعلى هذا الأساس فرق النورسي (رحمه الله) استناداً على حكمة القرآن الكريم بين القومية الإيجابية التي تدفع باتجاه التعاون المثمر، والقومية السلبية المؤدية إلى التحامل والصراع والحروب، كما مر في كلامه المذكور آنفاً.

وبما أن أجزاء الكون صغيرها وكبيرها تتعاون فيما بينها، وبما أن أعضاء جسم الإنسان تتعاون فيما بينها هي الأخرى، بحيث يكمل كل عضو عمل الآخر، فإنه يتحتم الانتقال بهذا التعاون إلى المجتمع البشري من خلال العمل على إيجاد التعاون وتحقيقه بين مكونات المجتمع البشري، والممثلة بالأقوام والشعوب، بحيث تبنى العلاقات بين

---

(١) المرجع نفسه، ج١/٤٧٢-٤٧٣. وينظر الكلام نفسه مع اختلاف بسيط في جملة واحدة، في ج١/١٤٥.
(٢) النورسي: صيقل الإسلام أو آثار سعيد القديم، ج٨/٥٦.

هذه المكونات على أساس الاحترام المتبادل والمكمل بعضها للبعض الآخر من خلال التعاون على ما فيه المصلحة العامة، والابتعاد عن التعصب والعنصرية والتمييز، وقد حاول النورسي جاهداً إيجاد هذا النوع من التعاون، وخلق جو من التفاهم والتعاون بين الشعوب الإسلامية عامة، وبين القوميات المختلفة في المجتمع التركي خاصة.

وكما أسلفنا فقد فرق النورسي بين نوعين من القومية، قومية موافقة للفطرة السليمة، الفطرة التي تدفع بالإنسان إلى التعاون، وقومية مخالفة للفطرة تؤدي بالإنسان إلى مهالك الصراع والتحارب والاقتتال.

يقول (رحمه الله): "ولكن القومية نفسها على قسمين:

قسم منها سلبي مشؤوم مضر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين، ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بحذر، وهذا يولد المخاصمة والنزاع. ولهذا ورد في الحديث الشريف: (أن الإسلام يجبّ ما قبله)[١]، ويرفض العصبية الجاهلية..وأمر القرآن الكريم: بـ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، (الفتح: ٢٦). فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف يرفضان رفضاً قاطعاً القومية السلبية وفكر العنصرية، لأن الغيرة الإسلامية الإيجابية المقدسة لا تدع حاجة إليها"[٢].

وذكر من سلبيات هذه القومية أضراراً كثيرة منها ما حدث عبر التاريخ الإسلامي ولا سيما ما ترتب على خلط القومية العربية بالسياسة في عهد الأمويين...ومنها: ما حدث في تاريخ أوربا في العصور المتأخرة من حروب بسببها...ومنها: ما كانت ذات علاقة بواقع المسلمين في عهد الاستقلال.

وعقب على كل ما سلف بقوله: "أما الآن فان التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله - بسبب من الفكر القومي- هلاك عظيم، وخطب جسيم، إذ أن تلك العناصر

---

(١) ورد ضمن حديث طويل في مسند الإمام أحمد بلفظ: "إن الإسلام يجب ما كان قبله من الذنوب". قال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم". ينظر: ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د. ط. ت)، رقم الحديث: ١٧٨٦١، ج٤/٢٠٥.

(٢) النورسي، بديع الزمان سعيد: المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م)، ج٢/٤١٤.

أحوج ما يكون بعضهم لبعض، لكثرة ما وقع عليهم من ظلم وإجحاف، ولشدة الفقر الذي نزل بهم، ولسيطرة الأجانب عليهم، كل ذلك يسحقهم سحقاً؛ لذا فإن نظر هؤلاء بعضهم لبعض نظرة العداء مصيبة كبرى لا توصف، بل إنه جنون أشبه ما يكون بجنون من يهتم بلسع البعوض ولا يعبأ بالثعابين الماردة التي تحوم حوله..."[١].

وفي المقابل يقر النورسي (رحمه الله) القومية الإيجابية، ويجعلها من سبل إحياء التعاون بين الشعوب الإسلامية، إذ يقول (رحمه الله): "القومية الإيجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية. هذا الفكر الإيجابي القومي، ينبغي أن يكون خادماً للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسوراً منيعاً حوله، لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلاً عنه، لأن الأخوة الإسلامية التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة. وأنها تبقى خالدة في عالم البقاء وعالم البرزخ. ولهذا فلا تكون الأخوة القومية مهما كانت قوية إلا ستاراً من أستار الأخوة الإسلامية، وبخلافه، أي: إقامة القومية بديلاً عن الإسلام جناية خرقاء أشبه ما يكون بوضع أحجار القلعة في خزينة ألماس فيها، وطرح الالماسات خارج القلعة"[٢].

وربما أراد النورسي (رحمه الله) أن يلفت من خلال حديثه عن التعاون ولا سيما التعاون بين أعضاء جسم الإنسان، وكذا التعاون بين مكونات هذا الكون، وكيف أن ذلك من دلائل وجود الله وربوبيته ووحدانيته، وتكراره الأمثلة على ذلك في رسائل النور المرة تلو الأخرى. وتعقيبه على ذلك بحديثه عن التعاون بين مكونات المجتمع الإسلامي، أي: القوميات المختلفة في المجتمع الإسلامي عامة، ربما أراد من كل ذلك أن يلفت أنظار قراء رسائل النور إلى أن الإيمان بوجود الله وربوبيته ووحدانيته الذي نستنبطه من التعاون الكوني ضروري وأساسي لتوحيد القوميات المختلفة، وأنه لا يمكن لهذه القوميات أن تتعاون أو تتوحد إلا بهذا الإيمان.

فإذا كانت هذه الجمادات تتعاون فيما بينها بشكل يلفت أنظار العقلاء، وتأول بهم إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فكم حري بهذا الإنسان العاقل أن يتعاون مع أخيه الإنسان لما فيه مصلحة البشر، ناهيك عن المسلم الذي يدعي الإيمان بخالق هذا الكون وما فيه، فهو أولى بالتعاون على البر والتقوى.

---

(١) النورسي: المكتوبات، ج٢/٤١٥.

(٢) النورسي: المكتوبات، ج٢/٤١٥-٤١٦.

لذا يرى النورسي (رحمه الله) أن الحل الأمثل للخروج من واقع الأمة الإسلامية الأليم هو اتخاذ التعاون دستوراً للعمل في الحياة، إذ يقول: "وطريق النجاة من هذا الواقع الباطل الأليم، والتخلص من هذا المرض الفتاك، مرض الاختلاف الذي ألم بأهل الحق هو اتخاذ النهي الإلهي في الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦)، واتخاذ الأمر الرباني في الآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢)، دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية"(١).

وقد جاءت الأحاديث النبوية أيضاً موافقة للقرآن الكريم في أمر المسلمين بالاتحاد، ومؤكدة في الوقت نفسه للأمر القرآني الصريح بالتعاون، وهي كفيلة بإخراج المسلمين من النفق المظلم في حال الالتزام بها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)(٢).

ومنها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)(٣).

ومنها :ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه إذ قال: (بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ ». قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ)(٤).

وقد سبق أن ذكرنا الحديث النبوي: (...وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...)، إذ لخص الحديث موضوع التعاون في أروع الصور.

---

(١) النورسي: اللمعات، ج٣/٢٣٤.

(٢) ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، (القاهرة: دار الشعب، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، رقم الحديث: ٦٠٢٦، ج٨/١٤. باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً.

(٣) ينظر: مسلم: صحيح مسلم، رقم الحديث: ٦٧٥١، ج٨/٢٠.

(٤) ينظر: مسلم: صحيح مسلم، رقم الحديث: ٤٦١٤، ج٥/١٣٨. وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، رقم الحديث: ٥٤١٩، ج١٢/٢٣٨.

سر التعاون العجيب

للتعاون سر عجيب في نظر النورسي رحمه الله، وقد أوجز هذا السر بكلام في منتهى البلاغة، إذ يقول (رحمه الله): "إن في التعاون والاجتماع سراً عجيباً. لأنه إذا اجتمع حسنُ ثلاثة أشياء صار كخمسة، وخمسة كعشرة، وعشرة كأربعين بسر الانعكاس. إذ في كل شيء نوع من الانعكاس ودرجة من التمثيل. كما إذا جمعت بين مرآتين تتراءى فيهما مرآيا كثيرة، أو نوَّرتَهما بالمصباح يزداد ضياء كل بانعكاس الأشعة؛ فكذلك اجتماع النكت والنقط. ومن هذا السر والحكمة ترى كل صاحب كمال وصاحب جمال يرى من نفسه ميلاً فطرياً إلى أن ينضم إلى مثيله، ويأخذ بيد نظيره، ليزداد حسناً إلى حسنه. حتى إن الحجر مع حَجَريته إذا خرج من يد المعقّد الباني في السقف المحدب يميل ويُخضع رأسَه ليماس أخيه ليتماسكا عن السقوط. فالإنسان الذي لا يدرك سر التعاون لهو أجمد من الحجر؛ إذ من الحجر من يتقوس لمعاونة أخيه!"[1].

الخاتمة

تبين من خلال البحث أن النورسي قد تناول مفهوم التعاون بنظرة شاملة، إذ يرى أن الحياة برمتها تسير وفق منهج دقيق ودستور عام ألا وهو دستور التعاون، ابتداءً من أضعف المخلوقات في هذا الكون إلى أكبرها. لذا يرى أنه يتوجب على الإنسان ولا سيما المسلم أن يتخذ من التعاون دستوراً للحياة ومنظماً لعلاقاته مع الآخرين. فالحل الأمثل في نظر النورسي (رحمه الله) للخروج من الوضع المتردي للعالم الإسلامي يكمن في الرجوع إلى الدستور العام الجاري في هذا الكون، أي بإحياء سنة التعاون بين الشعوب الإسلامية، تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾..

---

(١) النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ج٤٩/٥

قائمة المراجع

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).

ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د. ط. ت).

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي: التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م).

ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن الأصبهاني: مشكل الحديث وبيانه، تحقيق: موسى محمد علي، (بيروت: عالم الكتب، د. ط، ١٩٨٥م).

ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط١، د. ت).

البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، (القاهرة: دار الشعب، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، (د. م: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط١، ١٣٤٤هـ).

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت)، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

الحاكم، أبو عبدالله: المستدرك على الصحيحين، (د. م: د. ن، ط١، ١٤٢٧هـ).

رضا، رشيد: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (د. م: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٩٠م).

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م).

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، (د. م: دار ومكتبة الهلال، د. ط. ت).

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، (د. م: د. ن. ط. ت).

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت:دار المعرفة، د.ط،١٣٧٩).

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، (بيروت: دار الجيل ودار الأفاق الجديدة، د. ط. ت).

النورسي، بديع الزمان سعيد: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).

النورسي، بديع الزمان سعيد: الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).

النورسي، بديع الزمان سعيد: الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط٣، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م).

النورسي، بديع الزمان سعيد: اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م).

النورسي، بديع الزمان سعيد: المثنوي العربي النوري، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط٤، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).

النورسي، بديع الزمان سعيد: المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م).

النورسي، بديع الزمان سعيد: صيقل الإسلام أو آثار سعيد القديم، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (استانبول: دار سوزلر للنشر، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م).